نقاط عن أحاديث كتاب الكافى للكلينى في تأويل آيات في الإمامة

آية الله الشيخ محمد رضا الجعفريّ النجفى

الملخّص: تتركز المقال حول أحاديث باب «نكت و نتف من التنزيل فى الولاية» من كتاب الكافى للكلينى، و الذى يشمل ٩٢ حديثاً تبيّن العلاقة بين القرآن و أهل البيت. يبحث المؤلف عن هذه الأحاديث، تارة من ناحية السند، و أخرى من ناحية مضامينها. فيبيّن أنّ هذه الأحاديث ينقسم إلى أقسام، كتبيين المراد، و ذكر المصداق الخفيّ، و ذكر أهمّ المصاديق، و المرجع الخاصّ لجانب عامّ، و تأويل القرآن بصورتين، و فقه اللغة. ثم يجيب المؤلف عن سؤال فى تحريف القرآن و هل يستنتج التحريف من تلك الأخبار أم لا؟ يذكر المؤلّف معنيين للتحريف: معنىً لفظيّ و معنىً معنوي. ثمّ نفى القسم الأوّل و يثبت القسم الثاني. و يكتب وجهة نظر أهل السنّة في تحريف القرآن، و يشير إلى مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام و الذى لا يوجد كلمة من القرآن فيه، و أنّ أحاديث قرائة اميرالمؤمنين و أهل البيت عليهم السلام لا تدلّ على التحريف. هذا المقال يترجم لأوّل مرّة من تعليقات المؤلّف على الترجمة الإنجليزية لكتاب الكافي للكليني، و يبدأ المقال بترجمة موجزة للمؤلّف.

الكلمات المفتاحيّة: الكافي – تعليقات؛ شؤون القرآن؛ الإمامة؛ نفى التحريف عن القرآن؛ مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام؛ محمد رضا الجعفري النجفي.

تصدير

ولد العلامة المحقق الشيخ محمد رضا ابن الشيخ نصرالله الجعفريّ الإشكوريّ النجفيِ يوم الجمعة سابع شوال سنة ١٣٥٠، و عنى به أبوه منذ صباه، فنشأ نشأة صالحة و اتّجه إلى طلب العلم، فقرأ العلوم الأدبيّة على الشيخ محمد علي المدرّس الأفغانيّ و غيره، و المنطق على الشيخ عبدالصمد اليزدي، و الفلسفة على الشيخ صدرا البادكوبي، و الفلك على الشيخ عبدالجليل العادلي، و دروس السطوح على الأساتذة ميرزا محمد الأردبيلي و الشيخ علي الكاشي و الشيخ مرتضى اللاهيجي و السيد أحمد الإشكوري و الميرزا حسن اليزدي و السيد عبدالأعلى السبزواري. و حضر على السيد محمد الروحاني و السيد أبى القاسم الخويى و لازمهما، و استفاد كثيراً من الشيخ عبدالحسين الأميني و أعلام النجف الآخرين. و تعلّم اللغة الإنجليزيّة و استفاد منها في خدماته فى الأندونيسيا.

ثمّ آفاد و درّس و علّم في خدمة تراث أهل البيت، في النجف و في طهران، حتى توفّي يوم الغدير سنة ١٤٣١ في طهران و نقل جثمانه إلى وادى السلام في النجف.

و له من الآثار المنشورة: معنى الإمام و الوليّ، حديث المنزلة، أحداث مرض النبيّ، مقدمة على تصحيح الاعتقاد، غزوة أحد، غزوة تبوک، طقوس الشيعة الدينية، أبوحنيفة، تصحيح و إستدراک لترجمة الإمام الحسن و ترجمة الإمام الحسين عليهما السلام من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، و كتب أخرى باللغة الفارسية، و كتب غير منشورة، كما ترجم بعض هذه الكتب إلى اللغة الفارسيّة.

ترجم العلامة الجعفري أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني إلى اللغة الإنجليزية و علّق عليها تعليقات نافعة رصينة بنفس اللغة، أصدره المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية في عدة أجزاء ثمّ ترجم التعليقات إلى الفارسية و طبع في مجلد واحد باسم تعليقات الكافي، من إصدارات «بنياد فرهنگ جعفري» فى قم. و اخترنا منها في هذا المجال تعليقة واحدة نقلناها إلى اللغة العربية.

هذا التعليق، الذى يجدر بأن يقال هو مقال موجز كامل، كتبه المؤلف المغفور له، على باب من أبواب كتاب الحجة من الكافى، و هو باب «نكت و نتف من التنزيل فى الولاية»، والذى يشمل ٩٢ حديثاً، أثار بعض هذه الأحاديث أسئلة للبعض، و أجاب الشيخ الجعفري عن هذه الأسئلة، بجواب كتبه باللغة الإنجليزية، و ترجمناها لأول مرّة إلى اللغة العربية، و تنشر هذه الترجمة كما يلى.

والله الموفّق و المسدّد للصواب.

****

١. رؤية موجزة عن أحاديث الباب

هذا الباب (باب فيه نُكَتٌ و نُتَفٌ من التَّنزيلِ فى الولاية) أحد أبواب الكافي، و من الضرّوري أن تقدّم ايضاحات حوله و لتقرأ المذكّرات التالية قبل مطالعة النّص. يشتمل هذا الباب بعض الروايات ذي المباحث المعقدّة الّتى سنواجهها فى الأبواب الماضية و الأبواب الآتية.

من بين اثنين و تسعين رواية لهذا الباب،٦٦ رواية ضعيفة (بحيث الإسناد)،١٣ رواية مجهولة (أي جهل رواتها فى الإسناد)، روايتان ٩١ و ٩٢ مرسلتان (أي بلاسند) و من بين عشرة روايات باقية، ستّ روايات صحيحة و روايتان مجهولتان كالصحيح على رأي العلّامة المجلسي «مجهول كالصحيح» (أعني ناقلاه مجهولان فى الإسناد، لكن جعلها العلّامة المجلسي فى موضع الروايات الصحيحة) و روايتان موثّقتان، أعني رغماً من انّها ليستا بصحيح لكن من وجهة نظر العلّامة المجلسي يمكن أن يعتمد عليهما. (العلّامة المجلسى، مرآة العقول، ج ٥، ص ١-١٦٠). إنّه واضح جدّاً ،أنّ العلّامة المجلسى كان قادراً لمعرفة الروايات الصحيحة أكثر من جميع المحدّثين، فلذلک للأسباب المذكورة، الروايات التي جاءت في هذا الباب، لا يمكن أن تعتبر الأساس لكشف عقائد الائمةعليهم‌السلام لضعف أكثرها. و مع ذلک إن نرد أن نقبل هذه الروايات لا يكتفى البحث السندي فقط، و لْيُضَف عليه المعنى الذى يستنبطه علماء الاماميّة عن نصّ هذه الروايات.

٢. أصناف أحاديث الباب

لتفسير هذه الروايات، نقسمها إلى عدّة مجموعات و لكلّ واحد من هذه الروايات بُعدٌ خاص، و علينا أن نوضّحها. و في كلّ هذا التقسيم للطبقات نشير إلى الأمثلة الأولى التي تطرح في هذا الباب و فى غير ذلک، إن نرد أن نوضح جميع هذه الروايات سيكون هذا الهامش طويلاً جدّا. الروايات الأخرى من هذا الباب [التى تجىء أرقامها فى انتهاء هذا التصنيف] في كلّ من تقسيم للطبقات المطروحة و هى مماثلة للايضاحات المطروحة فى كلّ مجموعة.

الف) الطبقة الأولى؛ تشتمل الروايات التى تفسّر آية من القرآن مع تعيين المراد، أي تقديم معنى خاصّ مثل الرواية التى تفسّر مصداقيّة «القربى» بالائمةعليهم‌السلام على سبيل الحصر و لا تعتبر مصداقيّته جميع اقارب النبيّصلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، أو الرواية الثالثة عشرة التى تؤوّل الأمّة بالائمّة، و سائر النموذج هى: الروايات ١٥، ٢٢، ٢٣، ٢٨، ٤٤، ٥٧ ، ٦٨، ٦٩، ٧٠ ال ٧٢، ٧٧، و ٨١. فأيضاً توجد فى هذا الباب روايات التي تدلّ على الحوادث الخاصّة (شأن النزول) أعني رغماً من أنّ للآية معنى

عامّاً، لكن تتعلّق تعلّقاً خاصّاً بحادثة خاصّة أو شخص خاصّ (راجع: رواية ۶۹ و ۷۱) فأيضاً روايات هذا الباب تأويل لآيات نزلت فى عدّة حوادث مختلفة (وفى الظاهر) تشير إلى موضوعات مختلفة، لكن فى الحقيقة كلّها تعرب عن موضوع واحد ترتبط بعضها إلى بعض. مثل رواية ۷۳.

ب) الطبقة الثانية؛ تشتمل أمثلة من «ذكر المصداق الخفى» الذي يتبادر إلى كلّ أحد سريعاً. على سبيل المثال، نقرأ فى الرواية الأولى: الشيء الذى «نزل به الروّح الامين» إضافة إلى أنّ هذه العبارة تشير إلى «الكتاب المنزل» بل ترجع إلى ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام مثل الكتاب و جميع الأوامر الالهيّة في مجال الاعتقادى أو في مجال العملي، نزلت من قِبل الله و قضية ولايته من ضمن الأوامر الالهيّة [نزل على قلبک] التى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فأيضاً الرواية السّادسة تقع في هذه الطبقة التي يوضّح الامام عليه السلام فيه، أوّل ما يتبادر إلى الذهن من المُنزل، هو القرآن. لكن الولاية أيضاً مصداقيّة «أنزل إليهم». الروايات الأخرى التي تقع في هذا التصنيف هي: ۱۱، ۱۸، ۱۹، ۳۰، ۴۲، ۴۸-۵۳، ۵۵، ۵۶، ۷۸، ۸۴، ۸۵ و ۸۸.

ج) هذه الطبقة نوع من تفسير الآيات التى تعرف بصفة «ذكر أهمّ المصاديق»، و المقصود منها بيان أهمّ مراجع العباراة أو المفردات. على سبيل المثال، أوضحت فى الرواية الثانية حول كلمة «أمانة» (فى سورة الاحزاب (۳۳): ۷۲) و أعربت التأويلات العديدة في الكتب التفسيريّة لهذا الجزء من الآية مثل عبء قبول التوحيد أو النبوّة. يؤوّل الامام هذه العبارة من الآية بولاية اميرالمؤمنين عليه السلام و يقول: قبول التوحيد أسهل من قبول النبوّة و قبول النبوّة أسهل من قبول الولاية، و لذلک قبول الولاية أصعب الأمور. على هذا، الإمامة أهمّ الأمانات لقبول العبء الذى قبلها الانسان في عالم الارواح (أي عالم الذرّ. انظروا إلى الرواية الرابعة و أحاديث أخرى من هذا الباب) قبل خلقة هذا العالم. على هذا الترتيب في الرواية الثالثة؛ يؤوّل الإمام الإيمان بالولاية لأنّها أصعب الأجزاء الاعتقادية (و على هذا، أهمّها و ألزمها) التي عدم قبولها يمكن أن يؤدّي إلى ضلالة المؤمنين. الروايات الأخرى من هذا التصنيف هي: ۵۰، ۹، ۱۰، ۱۶، ۲۰، ۲۹، ۳۳-۳۶، ۳۹، ۴۰، ۶۶، ۷۷، ۸۲، ۸۳، ۸۵.

د) الروايات التى تقع فى هذه الطبقة، تشتمل الأقوال التي لها جانب عامّ و تشتمل المرجع الخاصّ، مثلما جاء فى الرواية الرابعة التي فيها أشار القرآن (فمنكم مؤمن و منكم كافر) و يقول الإمام فى توصيفها أنّ شرط الايمان الولاية (أيضاً انظروا رواية ۷۴) فأيضاً يشتمل هذا التصنيف تأويل

الآيات نزلت فى حادثة خاصّة، لكن يستنبط منها مفهوم عامّ. و ذلک المفهوم العامّ يُستنبط من قول الامام. على سبيل المثال رواية ٧٨؛ أشير فى آية مكّية إلى عَبدة الاصنام الذين يسألون عن النبيّ الأعظمﷺ حول الأصالة الالهيّة للوحي، لكن أيضاً إجابة عامّة عن السؤالات التي حول المصدر الالهىّ للموضوعات الأخرى، و أوّلَ الامام الآية بأنّ ولاية اميرالمؤمنينعليه‌السلام جزء منه[أي ولاية أميرالمؤمنينعليه‌السلام من قبل الوحى و بالتالي مصدرها الهى]

هـ) هذه الطبقة تشتمل على الروايات التي تشير إلى تأويل القرآن أو معناه الباطني. للتأويل (بمعنى الرجوع إلى المعنى الرئيسى) صورتان:

الصورة الأولى؛ بيان الجذر المعجمي للكلمة أو العبارة و الصورة الثانية؛ بيان المعنى الرئيسي للعبارة أو الكلمة، و مقصودنا هنا، صورة تأويلها.

انقسمت الآيات فى القرآن إلى صنفين، المحكمات و المتشابهات. الآيات المحكمات، آيات يمكن لها تأويل واحد فقط. بينما المتشابهات، آيات لها معنى ظاهر،كماقيل فى الحديث الأول من باب ٢٢ للكتاب.[باب انّ الراسخين فى العلم هم الائمةعليهم‌السلام]. السؤال الذي يطرح هنا، هو: من أُعطيت إليه المعرفة المطلوبة لتقديم التأويل الصحيح من المعنى الباطنى للآيات؟ يعرّف القرآن هؤلاء الأشخاص بعبارة «الراسخون فى العلم». قال الامام فى قوله، إنّ النبي و الائمة مصداقية هؤلاء الأشخاص فقط. هناک فرق بين «التأويل» و «التنزيل» الذي أعرب من قبل النبي على سبيل الحصر.

قُدّم إيضاح أكثر فى رواية ٩١ و أعرب في خلالها حول آيات القرآن، الاختلاف الدقيق بين التنزيل و التأويل. للتنزيل (الوحى) معنى أعم بالنسبة إلى القرآن و إضافة إلى القرآن، يشتمل الأجزاء الايضاحية التي من قبل جبرئيل إلى النبيّ أيضاً. لكن يقال التأويل إلى الايضاحات التي يذكرها الراسخون في العلم و ليس عن طريق الوحي.

فى نهاية تلک الرواية، يصرّح أنّ المقصود من العبارة الايضاحيّة لله [أعني امير المؤمنينعليه‌السلام] جزء من التنزيل، و مع ذلک ليست هذه العبارة جزأً من القرآن، لأنّ الشخص كان يستطيع أن يستخدم بدلاً من عبارة «أعني» التى استخدمت فى الرواية، استخدمت عبارة «يعنى» لأنّه توجد فى الرواية، نفس الكلمة. و يظهر من هذا أنّ الفاعل لهذا الفعل هو الله و مقصود الله (لا الامام) فى الآية المذكورة فى الرواية هو أميرالمؤمنينعليه‌السلام. على هذا، هنا، دلالة واضحة للأجزاء الايضاحية التي نزلت

عن طريق جبرئيل، و هو جزء من الوحي، و لذلک جزء من التنزيل. لكن ليست جزأً من القرآن.

في الرواية الرابعة عشرة من هذا الباب، قدّمت إيضاحات أكثر فى هذا المجال. والذين لا يرسخون في العلم، أساؤوا الاستعمال من طبيعة تعدّد المعانى للآيات المتشابهة، و يؤوّلون تأويلاً مناسباً لهدفهم ويقربّهم إلى مقصودهم. لدرک المعني الصحيح الباطني للآيات، علينا أن نراجع إلى الأئمة، لأنّهم يعلمون المعني الرئيسي للآيات المتشابهة وحدهم، و يقدرون (باذن الله) أن يُعربوا معنى الكلمة أو العبارة.

نفس الرواية، يُعرب عن التشابه بين الآيات المحكمة و المتشابهة للقرآن، و كذلک تُعرب عن هداية موثوقة و غير موثوقة.تتمّ الهداية الموثوقة من قبل الذين لا يرتكبون الذّنب (المعصوم). الهداية الموثوقة مثل الأمّ و الآيات المحكمة للقرآن (الاشارة الى «هنَّ أمّ الكتاب» فى آية القرآن) و لا خطأ فيها. بينما أنّ ادّعاء الآخرين فى الهداية، غيرموثوقة، و هي مثل الآيات المتشابهة. لأنّها يؤوّلها الذين لايرسخون في العلم. و مع ذلک لنعلم،كما أنّ الآيات المتشابهة محتاجة إلى التأويل، تأويل واحد وحده للآيات المحكمة قابلة للتصوّر فقط.

[فى الإيضاح يجب أن نقول: يبدو؛ انّ المرحوم الاستاذ، قال نوعاً من التشابه بين الآيات المحكمة و الآيات المتشابهة مع الهداية الموثوقة و غيرالموثوقة. أعني وفق قوله للآيات المحكمة معنى واحد وحده و للآيات المتشابهة معان عديدة. الهداية الموثوقة كالآيات المحكمة التي تأويلها موثوقة واحد وحده و هى الهداية التي عرّفها معصوم واحد و لا يحصل عليها من طريق أخرى. لكن الهداية غيرالموثوقة، كالآيات المتشابهة و الذين لا يرسخون فى العلم يؤوّلونها (ولها معان عديدة) إغراءً للآخرين و يقدّمون هدايات مختلفة. و على هذا، هذه الهداية مثل الآيات المتشابهة غير موثوقة].[1]

أُوّلت آية من سورة البقرة في رواية ٣١ و هي الآية التي جاءت في سورة المائدة، آية ٧٠ و يفهم من سياقها أنّ تلک الآيات مرتبطة ببنى اسرائيل. لكن بما أنّ الامام هو مصداقيّة «الراسخون في العلم» يقدّم لها تأويلاً وِفْقه ينطبق محتوى الآيات على النبي الأكرمﷺ و أميرالمؤمنين عليه السلام و قضية ولايتهم. يمكن أن يُفهم من ذلک التأويل المذكور في الرواية، أنّ المعنى الباطني للآية هو. كما أنّ بنى‌اسرائيل كانوا لا يقبلون من قِبل أنبيائهم ما يكرهون و كذلک بعض المسلمين، امتنعوا عن قبول

١. هذا الإيضاح للأستاذ محمدحسين أفراخته، الذي راجع كتاب تعليقات الكافى.

الأوامر الالهيّة التي حول ولاية اهل البيت عليهم السلام و لاتوائم مطلوباتهم، و على ذلک اختاروا الآخرين؛ و كما أنَّ بني إسرائيل قتلوا أنبياءهم المعصومين الذين كانوا مِن قِبل الله، هم قتلوا أهل بيت النبيّ عليهم السلام. توجد ماشابه هذه الروايات في روايات ٤١، ٤٦ ، ٥٤، ٦١، ٦٧، ٧٥، ٧٦، ٧٩، ٨٠، ٨٨.

و) جاءت في هذا الصنف الروايات التى بناءها على أساس نوع التأويل التى ذكر فى الجزء الاعلى و تقوم بتقديم معنى فقه اللغة. أحد أنواع التأويلات اللغويّة قدّم فى رواية ٣٨ في ما يتعلّق بكلمة «المصلّين» و قيل إنّ للمصلّين معنيان. الأوّل: الذى يُصلّى و الآخر، الفرس الذى يتلو السابق. المعنى الأوّل، معنى محدّد، لكن هذا هو المعنى الثانى الذى لنقبله على أساس التأويل الصحيح (أي نفس التأويل الذي يقدّمه الامام عليه السلام)

٣. السؤال عن التحريف فى نصّ القرآن

فى هذا الجزء نقوم بهذا البحث و هو: كيف وجهة نظر الشيعة حول نصّ القرآن الحالي الموجود عند المسلمين؟ هل هذا القرآن هو النّصّ الذي نزل على النبيّ و ما حذف منه و ما أضيف عليه؟ نقوم فى هذا الجزء بالروايات التى تتعلّق بهذا السؤال ايضاً.

الف) كلمة «تحريف» مأخوذة عن «ح- ر- ف» و لصيغتيَ «حَرَفَ» و «حَرَّفَ» معنيان مماثلان. الأوّل، تبديل شيء من طريقه المناسبة و الآخر «التغيير (التّصرف) لمعنى الكلمات عن معناها الدقيقة». (راجع

Edward William , Arabic- English Lexicon ,vol 2.p 549)

كلمة التحريف استعملت في المباحث التي تمّت حول محتوى القرآن، لأنّ هذه الكلمة ذكرت في القرآن في ثلاثة مواضع:

- يحرّفون الكلم عن مواضعه (نساء (٤): ٤٦).
- فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ. (يحرّفونَ) (المائدة(٥):١٣).
- سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ (يحرّفونَ) (المائدة (٥):٤١).

ب) من معنيين للتحريف اللَّذَين أشير إليهما فى الأعلى، تقدّم مناقشتان آخر. الأولى: التغيير

في معنى الكلمة هدفاً للتغيير في معنى الذي كان مقصود القائل الذي يقال إليه التحريف المعنوى و الآيات الثلاثة في الأعلى نماذج منه. والثانية: حول الحذف أو الإضافة للكلمات (الّذي يقال له التحريف اللفظى). التحريف اللفظي أدّى إلى منازعات بين الفرق المختلفة للمسلمين في طول التاريخ. وجهة نظر علماء الشيعة الامامية حول التحريف اللفظي نوقشت بالتفصيل في باب المسمّى بـ«صيانة القرآن من التحريف» فى كتاب «البيان فى تفسير القرآن» من مؤلفه آية الله السيد ابى القاسم الخوئى من صفحة ٢١٥ فصاعداً

في هذا المجال من الضروري أن نهتمّ إلى الآيات التالية من سورة البقرة:

«أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ». (البقرة(٢):٧٥ - ٧٩)

المعنى الظاهري لهذه الآيات، هو التحريف اللفّظي. طبعاً يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار، إنّ هذه الآيات و الآيات الأخرى الّتى جاءت فى الأعلى حول نصوص التورات و الانجيل، و لا يرتبط إلى القضية المطروحة هنا (حول القرآن)

ج) من طريق بيان آراء المحدّثين المتقدّمين للشيعة، نقدر أن نحصل على اعتقاد الشيعة حول تحريف القرآن. فمثلاً، نقدر أن نذكر جملة من الشيخ الصدوق فى هذا المجال:

«اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزله اللّه تعالى على نبيّه محمدﷺ هو ما بين الدفّتين، و هو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك» (اعتقادات الامامية، ص ٨٤)

إن كانت الروايات المنقولة عن الائمّة في حكم الأدلّة لهذا الادّعاء أي وجود التحريف في القرآن، فكان المحدّثون الأوّلون للشيعة و منهم شخصية ممتاز مثل الشيخ الصدوق لا يعتقدون بهذا الاعتقاد. فلذلک لا يمكن أن يدّعى أنّ جميع الشيعة يعتقدون تحريف القرآن. فقد طرح هذا الادّعاء من قبل الخلفاء الثلاثة و الآخرين، فلذلک علينا أن نطرح هذا السؤال و هو: هل المقصود من هذا التحريف، التحريف المعنوي او التحريف اللفظي؟ النتيجة التي أكثر احتمالاً، هي: إنّ فى كثير من الأوقات،

المقصود هو التحريف المعنوي. لنتذكّر أنّ في الروايات الموجودة في كتب الشيعة، نماذج ذكر فيها التحريف. فأيضاً بجنبه التأكيد على الكمال و صحّة نصّ القرآن.

نموذج من هذه الروايات، روايات عن الامام الخامس، الامام الباقرعليه‌السلام الّتي أرسلها إلى «سعد الخير». ذكر اسمه فى الكتب التاريخيّة «سعيدالخير». هو ابن عبدالملک بن المروان الخليفة لثاني لبني مروان. (ابن سعد، الطبقات، ج۶، ص ۱۶۶، الطبرى، تاريخ، ج ۲، ص ۱۱۷۴، ابن عبدربه، العقدالفريد، ج۴، ص ۴۲۰، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج۴، ص ۵۱۹؛ النويرى، نهاية الارب، ج۲، ص ۲۷۹) يكتب ابن عساكر فيه:

«سعيد بن عبدالملک بن مروان بن الحكم بن ابى العاص بن اميّة يكنّى أباعثمان و المعروف بسعيدالخير،كان متألّها (من الذين كانوا قد وقفوا أنفسهم لله و راقبوا الله و يشتغلون إلى عبادة الله). عند الليل فأخرج ثوبَي شعر و وضع ثيابه، ثم لبسهما ثم قام يصلّي كان يرتبط مرتاضي الكوفة. (صلاح الدين المنجد، معجم بني امية، ص ۵۹ –۶۰ مأخوذ من تاريخ مدينة دمشق ، ابن عساكر، ج ۲۱، ص ۲۱۴ –۲۳۱). كان شأنه في بني امية إلى حدّ، حتّى في سنة ۱۲۶ / ۷۴۴ عند زوال اقتدار بنى امية و بينما كان الناس يشكون منهم، كتب مروان بن الحكم، آخر الحكام الأمويين رسالة إليه بهذا المضمون: إنّ الله جعل لكلّ أهل بيت أركانا يعتمدون عليها و يتّقون بها المخاوف، و أنت بحمد ربّك ركن من أركان أهل بيتك، و قد بلغني أنّ قوما من سفهاء أهل بيتك يشتمون وليدبن يزيد بن عبدالملک (ابن عم سعيد) و بالجملة طلب منه أن يمنعهم من شتمه. (الطبرى، ج ۷، ص ۲۳۸، ابن الاثير، الكامل فى التاريخ، ج ۵، ص ۲۸۴، العيون والحدائق، ج ۵، ص ۱۳۴، احمد زكى الصفوت، جمهرة رسائل العرب، ج ۲، ص ۴۶۰ –۴۶۱) و في مصادر الامامية و قسم من مصادر أهل السنّة منه البداية و النهاية (ج۹، ص ۶۸) ذكر اسمه «سعد». جاءت الرواية التالية في كتاب «الاختصاص» للشيخ المفيد، منقول عن ابى حمزة الثمالى فى سعد:

«دَخَلَ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍعليه‌السلام يُسَمِّيهِ سَعْدَ الْخَيْرِ، وَ هُوَ مِنْ وُلْدِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍعليه‌السلام. فَبَيْنَا يَنْشِجُ كَمَا تَنْشِجُ النِّسَاءُ. قَالَ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍعليه‌السلام: مَا يُبْكِيكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: وَ كَيْفَ لَا أَبْكِي وَ أَنَا مِنَ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ؟ (الاشارة الى آية ۶۰ من سورة الإسراء (۱۷)؛ وأوّلت «الشجرة الملعونة» فى هذه الآية ببنى امية) فَقَالَ لَهُ: لَسْتَ مِنْهُمْ أَنْتَ أُمَوِيٌّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، أَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ يَحْكِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ: فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي» (الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ۸۵؛ العلامة المجلسى، بحارالانوار، ج ۴۶، ص ۳۳۷– ۳۳۸)؛ و رواها الكليني بسندين [قال الكليني:] وَ كَانَ

مِنْ نَبْذِهِمُ الْكِتَابَ [(الاشارة الى آية ١٠١ من سورة البقرة) من طريق قراءة صحيحة لحروفها و هم] أَقَامُوا حُرُوفَهُ وَ حَرَّفُوا حُدُودَهُ. فلذلک فَهُمْ رَووه وَ ما رَعوه، و الْجُهَّالُ يُعْجِبُهُمْ حِفْظُهُمْ لِلرِّوَايَةِ وَ الْعُلَمَاءُ يَحْزُنُهُم تركهم للرعاية» (الكلينى، الكافى، ج ٨؛ الفيض القاسانى، الوافى،ج ٥، ص ٢٧٤ و ج١٤؛ العلامة المجلسى، بحارالانوار، ج ٧٨، ص ٣٥٩)

هـ) فى الروايات التي ذكر فيها أنّ القران بصورة غير صورة التي يوجد في نصّ القرآن الحالي. (روايات ٢٥،٢٣،٨، – ٥٨،٤٧،٤٥،٣٢،٢٧،– ٦٤،٦٠ هذا الباب من الكافى) لنعلم إضافة إلى أنّ الامامية كانوا رواة هذه الروايات، بل غير الامامية كانوا أيضاً هكذا. [مقصود الاستاذ المرحوم هو أنّ أهل السنّة نقلوا أيضاً روايات كثيرة في كتبهم حول تحريف القرآن بالاضافة أو النقصان، و ان يرد أحد أن يتّهم الشيعة بالاعتقاد إلى تحريف القرآن، يعتقد أهل السنّة بهذا أيضاً. فإذن، الاعتقاد إلى تحريف القرآن لا يختصّ بالشيعة. فى التالي يشير هو إلى نماذج من هذه الروايات في كتب اهل السنّة]. يمكن تقسيم هذه الاصناف من الروايات إلى المجموعات التالية:

الاوّل) ما لم يجئ في نصّ وصل من القرآن:

١. آية الرجم ٢. لا ترغبوا عن آبائكم ...

٣. لو أنّ لابن آدم ... ٤. سورة مثل سورة البرائة

٥. سورة مثل سور يبتدأ بـ«سبّح لله». أي سور الحديد(٥٧) و الحشر(٥٩) و الصف(٦١).

٦. آية الرضا ٧. سورتا «الخلع» و «الحفد»

٨. آية إن جاهدوا كما... ٩. بلّغوا عنّا قومنا...

١٠. آيتان لم تكتبا فى المصحف

الثانى) آيات تختلف نص المصحف الحالي:

١. لم يكن ...فى سورة البيّنة(٩٨) ٢. و على الذين يصلّون في الصفّ...

٣. وصلاة العصر... ٤. ولو حميتم كما حموا

٥. الّا من تاب... ٦. و هو ابٌ...

٧. ان لا يَطُوفَ بهما... ٨. انّى انا الرزاق...

٩. ونوائب الدهر... ١٠. ويستعينون...

١١. ما سلككَ يا فلان... ١٢. في مواسم الحجّ...

١٣. متتابعات ١٤. ولا محدَّث

١٥. والذّكرِو الانثى... ١٦. الى اجلٍ مسمّى ...

الثالث) [تقريرات فى الكتب حول] حذف أجزاء من نصّ المصحف

١. [جزء من] سورة «الاحزاب» ٢. ما ضاع من نصّ القرآن

٣. ما حدث نتيجة وفاة كثير من حفّاظ القرآن فى حرب اليمامة. الحادثة التى أدّى إلى أمر عثمان بجمع القرآن.

٤. ما ضاع من سورة البرائة ٥. ما يتعلّق بعدد السور و الحروف في القرآن

الرابع) ما أضيف على المصحف الموجود بالنسبة إلى النصّ المروى:

المعوّذتان على أساس مصحف ابن مسعود.

جميع هذه الروايات منقولة عن الصحاح و المسانيد المقبولة لأهل السنّة.

و) يقسّم أهل السنّة نسخ القرآن إلى ثلاثة: نسخ الحكم، نسخ جزء من النصّ، و نسخ كليهما. و جميع الأحاديث المنقولة فى الأعلى متعلّقة بالنوع الثالث. بينما جميع الروايات المذكورة ترتبط بالحوادث التي وقعت بعد ارتحال النبيّ الاكرمﷺ. بينما كان نسخ آية واحدة من قبل النبى و في حياته نافذاً و بعد حياته ما كان مقبولاً. و إن كان هذاالنوع من النسخ قبلَ من قبلِ علماء أهل السنّة أيضاً، فلا ينبغى الهجوم إلى علماء الامامية لنقل هذه الروايات. و لا نتّهم الشيعة إلى الاعتقاد بتحريف القرآن، بل يجب أن يكون أهل السنّة هدف هذه الافتراءات.

٤. كلّ هذا البحث للاماميّة، حول السؤال عن مصحف أميرالمؤمنينعليه‌السلام و سبق شرحه بالتفصيل فى هامش باب ٣٥ للكتاب [باب انّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمةعليهم‌السلام و أنّهم يعلمون علمه كلّه]. بناء ترتيب مصحف أميرالمؤمنينعليه‌السلام على أساس ترتيب نزول القرآن و إضافة إلى نصّ القرآن يشتمل أجزاء من التأويلات التى نزلت مع الوحي أو نقل من قبل النبيّﷺ و فُصلّت هذه الاجزاء التأويليّة عنه عند جمع المصحف. لكن كانت موجودة في مصحف أميرالمؤمنينعليه‌السلام و وصلت إلى جميع أهل البيتعليهم‌السلام فى مابعد، وهي جزء من علمهم. فلذلک المقصود عن الوحي (التنزيل) في روايات هذا الباب،كان تنزيلاً أوسع الذي يشتمل أجزاء الوحى التأويليّة التي كتبها أميرالمؤمنينعليه‌السلام و جمعت في مصحفه. يمكننا أن نجد شواهد وجود هذا المصحف عند الأئمةعليهم‌السلام في رواية ٣٢ من هذا الباب، الذي أشير فيها إلى ما «كتب فى الكتاب» و عادة، المقصود منه

نصّ المكتوب الذي يحتوى التأويلات المقدّمة. فبما أنّه ما كان عند النبيّ نصّ مكتوب، فلذلک لتكن تلک المكتوبات نسخة مكتوبة من القرآن التي تشتمل التأويلات، و هذا هو مصحف أميرالمؤمنين عليه السلام.

إضافة إلى هذا، لنُجب عن شبهات أهل السنّة الذين يقولون: يعتقد الامامية إلى نصوص غير القرآن التي تتعلّق بفاطمة الزهراء عليها السلام المسمّاة بصحيفة الزهراء عليها السلام و «الجامعة». أوضحت ماهيّة هذه النصوص في هامش باب ۴۰ [باب فيه ذكر الصحيفة و الجفر و الجامعة و مصحف فاطمة عليها السلام] بدقّة و قد تبيّن أنّ الهذين ليسا جزءاً من القرآن قطّ. مصحف فاطمة عليها السلام نصّ قيل من قبل الملک حول الحوادث و الوقائع إليها و كتبه أميرالمؤمنين عليه السلام، و الجامعة مجموعة من الدستورات التي أملاها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على اميرالمؤمنين عليه السلام.

۴. قرائة القرآن و قرائة أميرالمؤمنين عليه السلام

من الأسئلة المتعلّقة بنصّ القرآن هى: توجد قراءات مختلفة من القرآن (لا نقصد أن نناقش هنا حول اعتبار هذه القراءات)، و هنا نكتفى إلى أن نقول: هناک قراءة خاصّة موجودة من قبل الائمة عليهم السلام لنا و يعتبرها الشيعة بصفة القراءة المعتبرة (طبعاً إن كانت أسنادها معتبرة) قد جاء مثال شامل من التعريف بهذه القراءة فى روايات الاماميّة فى رواية ۱۱۹۳ فى باب ۱۱۰ من كتاب الحجّة [باب فى معرفتهم أوليائهم و التفويض اليهم، رواية ۳].

قد جاءت في هذا الباب نماذج من الروايات المتعلّقة بقراءة اهل البيت عليهم السلام في روايات، رقم ۲۱،۶۱. في هاتين الروايتين المتشابهتين من حيث النصّ، جاءت آية ۱۹ من سورة الانعام (۶) [وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ] و استخدمت عبارة «من بلغ» فيها. إن اهتمّ في هذه الآية إلى قرائة اهل البيت عليهم السلام، يكن معنى الآية هكذا: «من بلغ» و على هذا حذف المفعول للفعل، و بالتالي قول الامام حذف مفعول هذه الفعل و هو الامامة. فلذلک، لا فرق فى القرائة، بل الفرق في المعنى. لأنّه كتب في كثير من التفاسير، «افترضوا فاعل الفعل محذوفاً و اعتبروا هذا الفاعل المحذوف أي القرآن. و بالتّالي فسّرت الآية بصورة «من بلغه» [القرآن]. على هذا إن نقبل أنّه كانت قراءة مختلفة ونعتبرها بصورة «من بَلَغَ» عندنا سيكون معنى أكثر مقبوليّة، و لذلک معنى الآية يكون هكذا: من إطّلع أنّ له مقام الامامة. هنا كلمة «بُلغ» بصيغة المجهول بمعنى «مطّلع» أو «قيل له».

فأيضاً لنهتمّ أنّ فى التفاسير العادّية من القرآن الكريم يرجع «مَنْ» في هذه العبارة إلى ضمير «كُم» فى عبارته السابقة «لِأُنْذِرَكُمْ به». لذلک، يستنتج أنّ معني الآية هو: «أنا أنذركم و أنذر من...». بينما في تفسير الامام حول هذه الرواية ليرجع «مَنْ» إلى فاعل الإنذار. ويستنبط في هذه الحالة، هذا المعنى: أنا و من ينذركم بهذا. فايضاً رواية ٦٢ و ٦٣، نموذجان فيها يختلف قرائة اهل البيت عليهم السلام عن قراءة المصحف. «راجع تعليقة رواية ٦٢ في هذا الباب»

٥. الروايات التي شرح فيها عدد آيات القرآن

رواية ٨٣ أحد الروايات المطوّلة التى أوضحت فيها عدد من آيات القرآن. فلنعمل فيها بأحد المناهج التى قيلت في الأعلى (رقم ١ الى ٥) ثلاث روايات اخرى من هذا النوع، روايات ٩٠، ٩١، ٩٢ لهذا الباب. لنتذكّرْ تنوع التفاسير المذكورة في هذه التعليقة عند قراءة الروايات الأخرى فى الكافي أو في الكتب الأخرى للشيعة.